وهنا لا بُدَّ ان نذكر شابَّين اخرين من الموارنة أُرسلا الى رومية سنة ١٥٨٢ ولم يُفدنا الدويهي والاب اليانو عن امرهما شيئاً . واسماهما مدوَّنان في سجلّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة : اسم الاوَّل نيقولا جرجي (Nicola di Giorgi) . والثاني ابرهيم جرجي (Abraham di Giorgi) المولود في حلب سنة ١٥٦٣ . وكلاهما دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة . كان دخول نيقولا في ٢٠ ايلول ١٥٨٢ . وابرهيم في ٢٨ كانون الاوَّل ١٥٨٢ . ولعلَّهما اخوان ولا نعرف من امر نيقولا شيئاً امَّا ابراهيم فهو الاب المكرَّم الذي بشَّر بالمسيح في الهند ثمَّ رحل الى الحبشة فقُتل شهيداً في مصوَّع في ٤ ايَّار ١٥٩٥ وسنعود الى ذكره . وكان لابرهيم اخ اسمهُ يوسف انضوى مثلهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا نعلم من اخباره سوى ما ورد في احد مكاتيب الاب ابراهيم الى الرئيس العام الاب اكواڤيڤا في تاريخ ١٥ ك ١ سنة ١٥٩٣ يطلب منهُ ان يرسل اخاهُ يوسف الى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنيسي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية (لهُ بقيَّة)

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم . قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧)

بناتُ الروم في سرَق الحرير

والسَّرق واحدتُهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

يَرْفُلْنَ في سَرَقِ الفِرِنْدِ وقَزِّهِ يَسْحَبْنَ من هُدَّابِهِ أذْيالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفْنيّ من مصنوعات اليمن قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضّليات ص ٥٢٨ ,ed. Lyall):

يَمْشون في الدَّفْنيّ والأَبرادِ

ومثلها السَّيْراء من برود اليمن الموشّاة المخطّطة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث انّ أُكَيْدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة اهدى الى محمّد حُلّةً سَيْراء. (التاج ٣: ٢٨٧). وكذلك عرف اهل مكّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام ورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفّان (النهاية لابن الاثير ٢: ٧١). وقد ورد في صحيح مسلم (٢: ١٥٢) وصحيح الترمذي (١: ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُمَصْفَرة والحِبَر المفوّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميّة واكثرها من صُنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢: ٤١١) انّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّدًا في قومه اهدى محمّدًا ثوب ديباج وروى المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٧٨) انّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي. وذكر ايضاً (١: ٢٢١) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانقيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص ٢٤١) أنّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأنطاع. اتّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص ٤٧): «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليّة الانطاع والمقافر (والصواب المَعافر وهي منسوجات يمنيّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيّة ثمّ كساها عُمر وعثمان القباطيّ ثمّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميّة في بعض ايّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدّونها». ومن

الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة . قال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤١) : « انّ التنوخيين نزلوا عَبْقَرة من ارض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية » . وقال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٩٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة . وقال الفرّاء هي الطنافس الثخان . وقال مجاهد : العبقريّ الديباج . وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر مما كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنساء ودمياط وتنّيس ودابق . ذكر انّ بعض البسط كان يبلغ طولهُ ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها مائتي مثقال ذهب . وروى انّ فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صوراً شتّى من الرجال والسباع والخيل والطيور . وفي متاحف اوربّة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١ . وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قولهُ : « رأيتُ على الحُسَين ثوباً مصلّباً اي فيهِ نقش امثال صلبان »

﴿التجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضري . قال ابن خلدون في المقدّمة (٢ : ٣١٣ طبعة باريس) : « انّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري . والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضَري وابعد عن البدو » ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرّ لنا شيء من اعمال النصارى الخشبيّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيهِ من الاخشاب الثمينة كالسأسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكّة (ص ١٠٥ ،

١) اطلب ايضاً H. Lammens : Fâtima, 70-74

١٠٧، ١١٤) عن باقوم الروميّ النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُريش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الذي اقبلت بهِ سفينةٌ للروم الى جُدَّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضاً الذين سقّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكّة في ايّام الوليد بن عبد الملك (الازرقيّ ص٢٠٩)

ومِمَّا صنعهُ النصارى في اوّل الاسلام لخدمة نبيّهم وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوّلاً رومي نجّار كما روى ابو سعيد وقيل « انَّ اسمهُ باقوم او ياقول الروميّ غلام سعيد بن العاص » وقيل انَّ اسمهُ ابرهيم النجّار (اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ١ : ١٣٤) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسلام نصراني آخر من لخم اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّداً وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمَّة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس (اسد الغابة ١ : ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد (ج ٢ ق ٢ ص ١١) . وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعد موت نبيّ المسلمين تردَّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ (الخطط ٢ : ٢٤٧) ان عَمرو بن العاص اتَّخذ منبراً فكتب اليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أمَا حسبُك ان تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبَيك » فكسرهُ . لكنَّهم ما لبثوا أن اقاموها في المساجد . روى المقريزيّ (٢ : ٢٤٨) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انهُ نصب منبراً جديداً في السنة ٩٤ هـ (٧١٣م) . (قال) « وذُكر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريَّا بن برقنى ملك النوبة (النصراني) اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجَّاراً حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجَّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبراً سواهُ »

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشام واليمن والعراق فيتَّخذون

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الاديان Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250-252

من نجّاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنّ الخشب مادّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدّمته (٢ : ٣٢٤) ولا تصير الى الصورة الخاصّة بها الّا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجّار. وقد بقي من اعمال النصارى الدالّة على براعتهم في هذه الحرفة عدّة آثار تُرى في كنائس واديرة اقباط الصعيد وطورسيناء والجزيرة ومنها ما تحوّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشماري والمشارب كان النصارى يهندسونها قديماً وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما التجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية. وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليّة قَيْناً. والقيون عند العرب بنو اسد قيل انّ اوّل من عمل الحديد منهم كان المالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدعي ايضاً الحدّاد بالهالكي. وممّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارث من نصارى بني تميم سُبي من وطنه وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعده توفّي سنة ٣٧ هـ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتّخاذ العرب للحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ. امّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المشرفيّات المنسوبة الى المشارف من قرى الشام. ومنها السيوف الحاريّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق. ومنها السُّريجيّات وكانت سيوفاً منسوبة الى قَيْن يُدعى سُرَيجاً مصغّر سرجيس. وفيها يقول العجّاج :

وبالسُّرَيجيّات يَخطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انّ بلقيس ملكة سبأ اهدتها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفقار كان لمنبه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثم مِخذم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسّان النصراني ثم ضرس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثم الكَشُّوح ولم يذكروا صاحبَهُ

امّا الدُّروع فممّا يدلّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون

مسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣ و ٢٧٢ — ٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السمؤال (اطلب ديوان السمؤال الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه انَّ محمَّداً صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الزُّدَيْنيَّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدَيْنة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة اخيها صخر :

اذا تلأم في زَغْفٍ مضاعفةٍ وصارمٍ مثل لون الملح جرَّادِ

امَّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧ ed. de Jong) انَّ اوَّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيَّة وانَّما كانت السنَّة العرب صياصي البقر . والله اعلم وانَّما يُرجَّح الرأي بانَّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيَّة المجاورة للعرب . وقد امتازت بين الرماح العربيَّة السَّمهريَّات نسبةً الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَيْنة ورفيقها في الحدادة . ومنها الخطيَّات وهي رماحٌ كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان . وكذلك السهام الصاعديَّة منسوبة الى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتَّخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخوذ يتقنَّعون بها رؤوسهم تعلَّموها من الروم والفرس وهي البَيْض . ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتَّى انَّهم أحصوا ما في خزانة السفَّاح اوَّل خلفاء بني عبَّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح . وزادت على ذلك في ايَّام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلَّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريَّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصَّة محلَّاة والف درع عامَّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلَّاة خاصَّة وثلثين الف سرج عامَّة (مطالع البدور للغزولي ٢ : ١٦٢)

(لهُ بقيَّة)